

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢١)

علي رضا بناهيان



PANAHIAN.NET

الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ
المكان: مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة طهران
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ٢١)

إليك ملخص الجلسة الواحدة والعشرين من سلسلة محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع «الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤ هـ. في مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة طهران.

جواب الله لبعض عبّاد بني إسرائيل

إن شهر رمضان شهر المغفرة، كما قال رسول الله (ص): «فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ عُفْرَانَ اللَّهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ» [الأمالي للصدوق/ص ٩٣]. فيودّ الجميع أن ينتهزوا أيام هذا الشهر ولياليه ليحصلوا على الحدّ الأقصى من فوائده وبركاته. فإن حُرِمَ استجابة الله أحدٌ من الناس، لا يهتدي بعدُ إلى طريق نجاةٍ بسهولة. فمن أجل ازدياد استفادتنا من هذا الشهر العظيم، ومن أجل أن نزداد شعوراً بأهميّة هذا الطريق الذي يجب أن نسلّكه، أرجوا أن تلتفتوا إلى هذه الرواية: قال الإمام الصادق (ع): «إِنَّ حَبْرًا مِنْ أَحْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَبَدَ اللَّهَ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الْخِلَالِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْ نَبِيِّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ فِي زَمَانِهِ قُلْ لَهُ وَ عِزَّتِي وَ جَلَالِي وَ جَبْرُوتِي لَوْ أَنَّكَ عَبَدْتَنِي حَتَّى تَذُوبَ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ فِي الْقِدْرِ مَا قَبِلْتُ مِنْكَ حَتَّى تَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَمَرْتُكَ» [ثواب الأعمال وعقاب الأعمال / ص ٢٠٣] وكذلك روي عن الإمام الصادق (ع): «مَرَّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ عَ بِرَجُلٍ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَدْعُو اللَّهَ فَانْطَلَقَ مُوسَى فِي حَاجَتِهِ فَبَاتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ وَ هُوَ رَافِعٌ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ يَا رَبِّ هَذَا عَبْدُكَ رَافِعٌ يَدَيْهِ إِلَيْكَ يَسْأَلُكَ حَاجَتَهُ وَ يَسْأَلُكَ الْمَغْفِرَةَ مِنْذُ سَبْعَةِ أَيَّامٍ لَا تَسْتَجِيبُ لَهُ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ يَا مُوسَى لَوْ دَعَانِي حَتَّى يَسْقُطَ يَدَاهُ أَوْ يَنْقَطِعَ لِسَانُهُ مَا اسْتَجَبْتُ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ الَّذِي أَمَرْتُهُ» [المحاسن/ج ١/ص ٢٢٤]

فما هذا الباب الذي يجب أن نعبد الله عن طريقه، وإلا فلن تجدي عبادتنا نفعا مهما تعبّدنا؟ وليت شعري ماذا وأين هذا الباب الذي مهما عملت واستغفرت لن ينظر إليك أحد، ولكنك إن جئت من هذا الباب سوف يغفر الله لك بأدنى عمل؟! لا بدّ لنا أن نقرّ بكلتا الحقيقتين وهذا ما يحتاج إلى دقّة من جانب وإلى صفاء الباطن من جانب آخر.

الإمام الصادق(ع): دَلَّ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالٍ مِنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ

يقول الإمام الصادق(ع): «دَلَّ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالٍ مِنْ خَالَفَكَ مِمَّنْ هُوَ فَوْقَكَ وَ مَنْ لَهُ الْفَضْلُ عَلَيْكَ فَإِنَّهَا أَقْرَبَتْ بِفَضْلِهِ لِيَلَّا تُخَالَفَهُ» [الكافي/ج ١٥/ص ٥٥٤]. يمكن أن يكون هذا الأعلى و «من هو فوقك» هو الأب والأم في البيت، أو الضابط في المعسكر، أو الرئيس في الدائرة. طبعاً من المعلوم أن امتثال أمر الأعلى مشروط بأن لا يخالف أمره أمر الله. وقد جاء هذا الشرط في القرآن بعد ما أمر بالإحسان بالوالدين. [راجع العنكبوت/٨ واللقمان/١٥]

لَا بَدَّ أَنْ نَذَلَ أَنْفُسَنَا لِلَّهِ بِجِهَادِ النَّفْسِ

في سبيل أن ننال المقام الذي خلقنا من أجله، لا بدَّ أن تذلَّ أنفسنا، ولا طريق إلى إذلال النفس سوى مجاهدتها ومخالفتها. إن جهاد النفس ومخالفتها يقتضي وجود أمرٍ من هو فوقنا. وهذا هو «الطريق الوحيد» الذي تحدَّثنا عنه في هذه الجلسات الماضية، كما أن الإنسان مجبور على مجاهدة نفسه شاء أم أبى. ولكن لا بدَّ للإنسان أن يجاهد هوى نفسه ليذلَّ لله سبحانه ويصل إليه. لا يمكن للإنسان المتكبر أن يصل إلى الله ما دام متكبراً. فإن طريق الوصول إلى الله هو التذلُّل، يعني أن يقضي الإنسان على أنانيته ليستطيع السير نحو الله عز وجل. ولكن يبدو أنه إذا تركت النفس مع ربِّها، فسيعترها العجب والغرور شيئاً فشيئاً، ثم ترى أنها ذو مقام وشأن رفيع، فلم تعد ذليلة مقهورة، ولم تزل «الأنا» في مقابل الله. لذلك قد لا تحصل حالة الذلِّ والخشوع في مقابل الله عبر العلاقة المباشرة مع الله. إن حبط عمل إبليس الذي قد عبد الله ستة آلاف سنة ينبئ بأننا حتى وإن عبدنا الله بشكل مباشر ستة آلاف سنة، مع ذلك قد لم تذلَّ أنفسنا لله بهذه العبادة.

أَهْمِيَّةُ الذَّلِّ لِلَّهِ

في موضوع أهميَّة ذلِّ النفس لله، حري بالإشارة إلى الحديث المروي عن الإمام الباقر(ع) حيث قال: «أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى عَ أَنْ يَا مُوسَى أَ تَدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتُكَ بِكَلَامِي دُونَ خَلْقِي قَالَ يَا رَبِّ وَ لِمَ ذَاكَ قَالَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي قَلَّبْتُ عِبَادِي ظَهْرًا لِبَطْنٍ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ أَحَدًا أَذَلَّ لِي نَفْسًا مِنْكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَصَعْتَ خَدَّكَ عَلَى التُّرَابِ» [الكافي/ج ٢/ص ١٢٣].

طريق الذل لله هو الإقرار بأفضليّة ولي الله

ما هو الطريق؟ إذا ما أردت أن تجد إلى الله المتكبر سبيلا، فلا بدّ لك من التذلل. هذه هي فلسفة جهاد النفس وهي أن تلوي عنق نفسك. ولكنك إن عمدت إلى إرغام نفسك، يأت الله إليك بوليّه ويفرض عليك أن تقرّ بكونه أفضل منك. ومضافا إلى الإقرار بأفضليّة ولي الله عليك، لا بدّ لك أن تستلم أوامر الله عن طريقه، وأن تخضع لأوامره الخاصّة أيضا كما تخضع لأوامر الله. إن هذه الأحاديث القدسية التي مرّت عليكم والتي تنقل عن الله أنه لا يقبل عبادة العابد وتوبة التائب مهما حاول وسعى وحتى لو ذاب كذوب الشحم في القدر أو كسرت يداه وقطع لسانه ما لم يأت الله من الباب الذي أمره، هذا الباب هو باب الولاية التي يجب أن نستلم أحكام الله عن طريقه.

سبب هلاك إبليس هو الكبر على وليّ الله / سبب غفران آدم(ع)، التواضع لوليّ الله

قال الإمام الحسن العسكري(ع) عن النبي الأعظم(ص): «عَصَى اللّٰهَ إِنْبِلِيسُ، فَهَلَكَ لِمَا كَانَ مَعْصِيَتُهُ بِالْكِبْرِ عَلَى آدَمَ وَ عَصَى اللّٰهَ آدَمُ بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، فَسَلِمَ وَ لَمْ يَهْلِكْ لِمَا لَمْ يُقَارِنْ مَعْصِيَتَهُ التَّكْبُرَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَ ذَلِكَ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ: «يَا آدَمُ عَصَانِي فِيكَ إِنْبِلِيسُ، وَ تَكَبَّرَ عَلَيْكَ فَهَلَكَ، وَ لَوْ تَوَاضَعَ لَكَ بِأَمْرِي، وَ عَظَّمَ عِزِّي جَلَالِي لَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ كَمَا أَفْلَحْتَ، وَ أَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَ بِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ تُفْلِحُ كُلُّ الْفَلَاحِ» [الاحتجاج للطبرسي/١/٥٣].

إن ليلة القدر هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج)

إن ليلة القدر، هي ليلة الاعتذار من الإمام صاحب الزمان(عج) وقبول توبتنا مشروط بجلب رضا الإمام الحجة(عج). نحن نعتقد أن في ليلة القدر تُسَلَّمُ صحف أعمالنا إلى الإمام صاحب الزمان(عج)، كما تُسَلَّمُ الصحف إلى أمير المؤمنين(ع) يوم القيامة. فقد قال النبي(ص) لأصحابه: «آمِنُوا بِلَيْلَةِ الْقَدْرِ إِنَّهَا تَكُونُ- لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ لَوْلِيهِ الْأَحَدَ عَشَرَ مِنْ بَعْدِي» [الكافي/ج١/ص٥٣٣]



إذا كان الخوض في الشهوات قبيح، فإن الصلاة بلا ولاية قبيحة أيضا

إذا كان الخوض في الشهوات والفسق والفجور قبيح لكون الإنسان المنحدر في هاوية الشهوات يعمل بما يحب، كذلك الصلاة قبيحة بلا ولاية، لأنها تعبر عن عبادة منسجمة مع هوى الإنسان المتكبر على ولي الله. وحري بالذكر أن قد ارتكب المصلّون بلا ولاية جرائم لم يرتكبها حتى الكفار. لقد التزم الكفار والمشركون ببعض الأصول والقيم في تعاملهم مع سببا المسلمين، ولكن تعالوا إلى كربلاء لتروا المصلّين الذين جرّدوا دينهم عن الولاية فلم توقفهم أي قيمة وأي حرمة في ارتكاب الجرائم على أطفال الحسين(ع) فضلا عن الكبار.

ألا لعنة الله على القوم الظالمين